بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربي على ما يسرت لي من تصفح كتاب الهجرة النبوية، فسرني ما فيه من علاج أكبر حدث في الإسلام لما نشأ عنه من سياحة الإسلام منصوراً على خصومه ولهذا كانت الهجرة مقترنة باعلان نبوة محمد ﷺ؛ كما عبر عن ذلك قول ورقة: ليتني أكون حياً إذْ يخرجك قومك، إلى آخر الخبر.

والله أسأل أن يجزي كاتب الكتاب عن كل ما عرضه بصدق وإحسان.

نفع الله به كل قارئ وجزى بالخير كل من أعان عليه أو فرح به أو دعى بأكرم الجزاء لأسرة نشره والله ولي التوفيق.

محمد متولي الشعراوي

قال رسول الله ﷺ:

«رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب»[1].

(١) أخرجه البخاري [٣٦٢٢]، ومسلم [٢٢٧٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد.. فإن العبد منذ استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه تعالى. ومدة سفره هي عمره الذي كُتب له.

إذن.. فالعمر هو مدة سفر الإنسان في هذه الدار إلى ربه. ثم قد جُعلت الأيام والليالي مراحل لسفره؛ فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر.

فالكيّس الفطن هو الذي يجعل كل مرحلة نصب عينيه فيهتم بقطعها سالماً غانماً، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه.

والناس في قطع هذه المراحل قسمان: قسم قطعوها مسافرين فيها إلى دار الشقاء، فكلما قطعوا منها مرحلة، قربوا من تلك الدار، وبعدوا عن ربهم وعن دار كرامته، فقطعوا تلك المراحل بمساخط الرب ومعاداة رسله وأوليائه ودينه، والسعي في إطفاء نوره وإبطال دعوته وإقامة دعوة غيره، فهؤلاء جُعلت أيامهم يسافرون فيها إلى الدار التي خُلقوا لها واستعملوا بها، فهم مصحوبون فيها بالشياطين الموكلة بهم يسوقونهم إلى منازلهم سوقاً كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم] أي تزعجهم إلى المعاصي والكفر إزعاجاً وتسوقهم سوقاً.

القسم الثاني: قطعوا تلك المراحل سائرين فيها إلى الله وإلى دار السلام وهم ثلاثة أقسام:

ظالم لنفسه. ومقتصد. وسابق بالخيرات بإذن الله.

وهؤلاء كلهم مستعدون للسير موقنون بالرجعى إلى الله، ولكن متفاوتون في التزود وتعبئة الزاد واختياره[١].

فما زاد هذا المسافر، وما طريقه، وما مركبه؟

قال العلامة ابن القيم: زاده العلم الموروث من خاتم الأنبياء ﷺ ولا زاد له سواه، فمن لم يُحَصِّل هذا الزاد فلا يخرج من بيته وليقعد مع الخالفين.

فرفقاء المتخلف البطالون أكثر من أن يحصوا، فله أسوة بهم، ولن ينفعه هذا التأسي يوم الحسرة شيئاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف] فقطع الله سبحانه انتفاعهم بتأسي بعضهم ببعض في العذاب، فإن مصائب الدنيا إذا عمت صارت مسلاة، وتأسي بعض المصابين ببعض، كما قالت الخنساء[٢]:

ولـو لا كـثـرة الـبـاكـيـن حـولـي ... عـلـى إخـوانـهـم لـقـتـلـتُ نـفـسـي

ومـا يـبـكـون مـثـل أخـي ولـكـن ... أعـزي الـنـفـس عـنـهـم بـالـتـأسـي

فهذا الروح الحاصل من التأسي معدوم بين المشركين في العذاب يوم القيامة.

وأما طريقه: فهو بذل الجهد واستفراغ الوسع، فلا ينال بالمنى، ولن يُدرك بالهوينا، وإنما هو كما قيل:

فخض غمرات الموت واسم إلى العلا ... لـكـي تـدرك الـعـز الـرفـيـع الـدائـم

فلا خير في نفس تخاف من الردى ... ولا هـمـة تـصـبـو إلـى لـوم لائـم

ولا سبيل إلى ركوب هذا الظهر إلا بأمرين:

---

(١) إني مهاجر إلى ربي [٥١].

(٢) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، والخنساء لقب عليها لقبت به تشبيهاً لها بالبقرة الوحشية في جمال عينيها، قتل أخواها صخر ومعاوية فحزنت عليهما خاصة على صخر فرثته بشعر كثير وهي من شواعر العرب المعترف لهم بالتقدم؛ أجمع الشعراء ورواة الشعر القدماء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها في الرثاء. أسلمت مع قومها من بني سليم وانبعثت مع المسلمين لفتح بلاد فارس فقتل أولادها الأربعة في وقعة القادسية [١٦هـ ٦٣٨م] فقالت لما بلغها خبر مقتلهم: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة». راجع ترجمتها في: الإصابة [١٢/ ٢٢٥]. والأبيات في الديوان ص [٨٤، ٨٥].

أحدهما: ألّا يصبو في الحق إلى لوم لائم، فإن اللوم يصيب الفارس فيصرعه عن فرسه، ويجعله صريعاً في الأرض.

والثاني: أن تهون عليه نفسه في الله؛ فيقدم حينئذ ولا يخاف الأهوال، فمتى خافت النفس تأخرت وأحجمت وأخلدت إلى الأرض، ولا يتم له هذان الأمران إلا بالصبر، فمن صبر قليلاً صارت تلك الأهوال ريحاً رخاء في حقه تحمله بنفسها إلى مطلوبه، فبينما هو يخاف منها، إذ صارت أعظم أعوانه وخدمه، وهذا أمر لا يعرفه إلا من دخل فيه.

وأما مركبه: فصدق اللّجأ إلى الله والانقطاع إليه بكليته، وتحقيق الافتقار إليه بكل وجه، والضراعة إليه، وصدق التوكل والاستعانة به، والانطراح بين يديه انطراح المسلوم المكسور الفارغ الذي لا شيء عنده، فهو يتطلع إلى قيّمه ووليّه أن يجده ويلم شعثه، ويمده من فضله ويستره، فهذا الذي يُرجى له أن يتولى الله هدايته، وأن يكشف له ما خفي على غيره من طريق هذه الهجرة ومنازلها[1].

وقال رحمة الله تعالى عليه: والهجرة إلى الله ورسوله فرض عين على كل أحد في كل وقت[2]، وأنه لا انفكاك لأحد من وجوبها، وهي مطلوب الله ومراده من العباد.

إذ الهجرة هجرتان: هجرة بالجسم من بلد إلى بلد، وهذه أحكامها معلوم، الكلام فيها.

والهجرة الثانية: الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله، وهذه الهجرة هي الهجرة الحقيقية وهي الأصل، وهجرة الجسد تابعة لها.

والهجرة إلى الله تعالى ورسوله ﷺ تتضمن «من» و«إلى» فيهاجر بقلبه من محبة غير الله تعالى إلى محبته سبحانه، ومن عبودية غيره تعالى إلى عبوديته سبحانه، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه، إلى خوف الله ورجائه والتوكل

---

(١) زاد المهاجر إلى ربه [١١٧: ١١٩].

(٢) قال ابن القيم في طريق الهجرتين [ص: ٧] في الحديث عن أولياء الله: «وله في كل وقت هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجأ والافتقار في كل نفس إليه.
وهجرة إلى رسوله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله ومرضاته ولا يقبل الله من أحد ديناً سواه وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها، لا زاد للمعاد» اهـ.

عليه، ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له، إلى دعائه، وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له.

وهذا بعينه معنى الفرار إليه، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠].

والتوحيد المطلوب من العبد هو الفرار من الله إليه.

وتحت «من» و«إلى» في هذا سر عظيم من أسرار التوحيد. فإن الفرار إليه سبحانه يتضمن إفراده بالطلب والعبودية ولوازمها من المحبة والخشية والإنابة والتوكل وسائر منازل العبودية، فهو متضمن لتوحيد الإلهية التي اتفقت عليها دعوة الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما الفرار منه إليه فهو متضمن لتوحيد الربوبية وإثبات القَدَر، وأن كل ما في الكون من المكروه والمحذور الذي يفر منه العبد، فإنما أوجبته مشيئة الله وحده، فإنه ما شاء كان ووجب وجوده بمشيئته، وما لم يشأ لم يكن، وامتنع وجوده لعدم مشيئته. فإذا فر العبد إلى الله فإنما يفر من شيء إلى شيء وجد بمشيئة الله وقدره فهو في الحقيقة فار من الله إليه.

ومن تصور هذا حق تصوره فهم معنى قوله ﷺ: «وأعوذ بك منك»[1] وقوله: «لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك»[2] فإنه ليس في الوجود شيء يفر منه ويستعاذ منه، ويلتجأ منه، إلا هو من الله خلقاً وإبداعاً.

فالفار والمستعيذ: فار مما أوجده قدر الله ومشيئته وخلقه إلى ما تقتضيه رحمته وبره ولطفه وإحسانه، ففي الحقيقة هو هارب من الله إليه، ومستعيذ بالله منه.

وتَصَوُّر هذين الأمرين يوجب للعبد انقطاع تعلق قلبه عن غيره بالكلية خوفاً

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [٤٨٦/ ٢٢٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد. وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم؛ أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك. لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري [٦٣١٣]، ومسلم [٢٧١٠/ ٥٧] واللفظ له عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أمر رجلاً، إذا أخذ مضجعه من الليل أن يقول: «اللهم؛ أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبرسولك الذي أرسلت فإن مات مات على الفطرة».

ورجاء ومحبة، فإنه إذا علم أن الذي يفر منه ويستعيذ منه إنما هو بمشيئة الله وقدرته وخلقه لم يبق في قلبه خوف من غير خالقه وموجده، فتضمن ذلك إفراد الله وحده بالخوف والحب والرجاء، ولو كان فراره ممّا لم يكن بمشيئة الله ولا قدرته، لكان ذلك موجباً لخوفه منه؛ مثل ما يفر من مخلوق آخر أقدر منه، فإنه في حال فراره من الأول خائف منه؛ حذراً ألّا يكون الثاني يفيده منه، بخلاف ما إذا كان الذي يفر إليه هو الذي قضى وقدر وشاء ما يفر منه، فإنه لا يبقى في القلب التفات إلى غيره.

فتفطن إلى هذا السر العجيب في قوله: «أعوذ بك منك» و«لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك» فإن الناس قد ذكروا في هذا أقوالاً وقل من تعرض منهم لهذه النكتة التي هي لب الكلام ومقصوده.

فتأمل كيف عاد الأمر كله إلى الفرار من الله إليه؛ وهو معنى الهجرة إلى الله تعالى؟

ولهذا قال النبي ﷺ: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[1] ولهذا يقرن الله سبحانه بين الإيمان والهجرة في غير موضع لتلازمهما واقتضاء أحدهما للآخر.

والمقصود: أن الهجرة إلى الله تتضمن هجران ما يكرهه وإتيان ما يحبه ويرضاه، وأصلها الحب والبغض، فإن المهاجر من شيء إلى شيء لا بد أن يكون ما هاجر إليه أحب ممّا هاجر منه، فيؤثر أحب الأمرين إليه على الآخر. وإذا كان نفس العبد وهواه وشيطانه إنما يدعونه إلى خلاف ما يحبه ويرضاه، وقد بلي بهؤلاء الثلاث، فلا يزالون يدعونه إلى غير مرضاة ربه، وداعي الإيمان يدعوه إلى مرضاة ربه فعليه في كل وقت أن يهاجر إلى الله، ولا ينفك في هجرته إلى الممات.

وهذه الهجرة تقوى وتضعف بحسب داعي المحبة في قلب العبد، فإن كان الداعي أقوى كانت هذه الهجرة أقوى وأتم وأكمل. وإذا ضعف الداعي ضعفت الهجرة حتى لا يكاد يشعر بها علماً، ولا يتحرك لها إرادة.

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري [٤٨٤٦] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

والذي يقضي منه العجب: أن المرء يوسع الكلام ويفرع المسائل في الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام. وفي الهجرة التي انقطعت بالفتح، وهذه هجرة عارضة ربما لا تتعلق به في العمر أصلاً.

وأما هذه الهجرة التي هي واجبة على مدى الأنفاس، فإنه لا يحصل فيها علماً ولا إرادة وما ذاك إلا للإعراض عما خلق له. والاشتغال بما لا ينجيه وحده عما لا ينجيه غيره. وهذا حال من غشيت بصيرته وضعفت معرفته بمراتب العلوم والأعمال.

إن الهجرة إلى رسول الله ﷺ علم لم يبق منه سوى اسمه، ومنهج لم تترك بنيات الطريق سوى رسمه، ومحجة سفت عليها السوافي فطمست رسومها، وغارت عليها الأعادي فغورت مناهلها وعيونها، فسالكها غريب بين العباد، فريد بين كل حي وناد، بعيد على قرب المكان، وحيد على كثرة الجيران، مستوحش مما به يستأنسون، مستأنس مما به يستوحشون، مقيم إذا ظعنوا، ظاعن إذا قطنوا، منفرد في طريق طلبه، لا يقر قراره حتى يظفر بأربه، فهو الكائن معهم بجسده، البائن منهم بمقصده، نامت في طلب الهدى أعينهم، وما ليل مطيته بنائم. وقعدوا عن الهجرة النبوية، وهو في طلبها مشمر قائم، يعيبونه بمخالفة آرائهم، ويزرون عليه إزراءه على جهالاتهم وأهوائهم؛ قد رجموا فيه الظنون، وأحدقوا فيه العيون، وتربصوا به ريب المنون ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢]. ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ [الأنبياء].

نحن وإياكم نموت، فما أفلح عند الحساب من ندما

والمقصود: أن هذه الهجرة النبوية شأنها شديد وطريقها على غير المعتاد بعيد.

بعيد على كسلان أو ذي ملالة أما على المشتاق فهو قريب

ولعمر الله، ما هي إلا نور يتلألأ، ولكن أنت ظلامه، وبدر أضاء مشارق الأرض ومغاربها، ولكن أنت غيمه وقتامه، ومنهل عذب صافي، وأنت كدره. ومبتدأ لخير عظيم، ولكن ليس عندك خبره.

فاسمع الآن شأن هذه الهجرة والدلالة عليها، وحاسب ما بينك وبين الله، هل أنت من الهاجرين لها، أو المهاجرين إليها؟

فحدّ هذه الهجرة: سفر الفكر في كل مسألة من مسائل الإيمان، ونازل من

منازل القلوب، وحادثة من حوادث الأحكام إلى معدن الهدى، ومنبع النور الملتقى من فم الصادق المصدوق الذي: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

فكل مسألة طلعت عليها شمس رسالته، وإلا فاقذف بها في بحر الظلمات، وكل شاهد عدله هذا المزكى وإلا فعده من أهل الريب والتهمات، فهذا حد هذه الهجرة.

فما للمقيم في مدينة طبعه وعوائده، القاطن في دار مرباه ومولده، القائل: إنَّا على طريقة آبائنا سالكون، وإنَّا بحبلهم مستمسكون، وإنا على آثارهم مقتدون وما لهذه الهجرة؟ التي كلَّت عليهم، واستند في طريقة نجاحه وفلاحه إليهم، معتذراً بأن رأيهم خير من رأيه لنفسه، وأن ظنونهم وآراءهم أوثق من ظنه وحدسه.

ولو فتشت عن مصدر مقصود هذه الكلمة لوجدتها صادرة عن الإخلاد إلى أرض البطالة، متولدة بين الكسل وزوجه الملالة.

والمقصود: أن هذه الهجرة فرض على كل مسلم، وهي مقتضى «شهادة أن محمداً رسول اللّٰهﷺ»، كما أن الهجرة الأولى مقتضى «شهادة أن لا إله إلا اللّٰه».

وعن هاتين الهجرتين يسأل كل عبد يوم القيامة، وفي البرزخ، ويطالب بها في الدنيا ودار البرزخ ودار القرار.

قال قتادة: «كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين»[1].

وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادة[2].

---

(١) الأثر عن قتادة أورده ابن القيم أيضاً في إغاثة اللهفان [١/ ٩٦]. من قول قتادة أيضاً. وأورده أيضاً في مدارج السالكين [١/ ٣٤١] من قول أبي العالية وهو عند ابن جرير بنحوه، كما في تفسير ابن كثير [٢/ ٥٣٩] من طريق الربيع عن أبي العالية في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر] قال: يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة: عما كانوا يعبدون؟ وعماذا أجابوا المرسلين؟.
قال ابن القيم في زاد المعاد [١/ ٣٤]: «فجواب الأولى: بتحقيق «لا إله إلا اللّٰه» معرفة وإقراراً وعملاً؛ وجواب الثانية بتحقيق «أن محمداً رسول اللّٰه» معرفة، وإقراراً وانقياداً وطاعة» ا.هـ.

(٢) زاد المهاجر إلى ربه [٤١: ٥٥].

وشيخنا الإمام الأمين «محمد متولي الشعراوي» رضي الله تعالى عنه وأرضاه وبعد أن عايشنا معه في الجزء الأول من السيرة النبوية العطرة ارهاصات الميلاد والبعثة وبدء الدعوة وكذلك لحظات الإسراء والمعراج وكأننا نعاينها، نواصل مع فضيلته رحلة العطاء في الجزء الثاني من منظومة السيرة النبوية ونعيش لحظات الهجرة فقد أفاض رضي الله تعالى عنه في هذا الجزء النافع إن شاء الله تعالى في الهجرة النبوية الشريفة المباركة؛ وكذلك في الحض على الهجرة إلى الله ورسوله بالتزام القرآن والسنّة واتباع هدى السلف الصالح في الاجتهاد والفهم، لذا كانت كلماته تخرج من القلب لتدخل القلوب.

وهذا الكتاب تم جمع مادته من كلام فضيلة الشيخ الإمام وأحاديثه، وكثير منه تم تسجيله مباشرة مع سماحته، وقام مركز التراث لخدمة الكتاب والسنّة بشرحه والتعليق عليه وتخريج أحاديثه وترتيب موضوعاته.

وقد تم عرض الكتاب في صورته النهائية على سماحته يوم الجمعة السابع من ذي القعدة ١٤١٨هـ الموافق التاسع من مارس ١٩٩٨م وتفضل سماحته بكتابة كلمة موجزة صدرنا بها طبعتنا هذه.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يبارك لنا في عمره وأن ينفعنا بعلمه، ويجزيه عنا خير الجزاء، إنه سبحانه قريب سميع مجيب الدعوات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ذكّرينا يا هجرة الحقّ ما قال ... وكيف استهلّ خطو السُّفار
واملئي الناس عزّة وطموحاً ... وأريـنـا رواتـعَ الآثـار
إنـمـا أنـت عـبـرة وتـأس ... صيّرُوها ضرباً من الأخبار
أيقظي الشرق من سبات عميق ... واحملـيه إلى مدار الدرار
فيه من محكم الكتاب ملاذٌ ... فاقدحي يا رؤوسُ فالزندُ وار
علّميه الفداء حزماً وعزماً ... فجنى النحل من أذى المشتار
علّميه أن الحياة صراع ... من سها فيه ذل في المضمار
علّميه أن القويّ ظلوم ... كم يهادى كبارهم بالصغار
فقوى على الضّلال مقيم ... وقطيع من الضعاف يجارى
أيها المسلمونَ في أمم الأرض ... أيرضى الإسلام ما هو جار؟
كيف بالله تستقرُّ نفوسٌ ... والأشقاء بيننا في اشتجار
أنقول الإسلامُ ظلماً وجوراً ... وفلسطين لم تعد من ديار
«إننا عائدون» تصرخ فينا ... صرخةٌ تستغيث معنى الشّعار
دولةُ العلم والسياسات والحربِ ... . . ودُنيا الهوى والاستعمار
كلُّ دنيا تُبنى على غير دينٍ ... فبناءٌ على شَفِير هار[1]

(١) من قصيدة موكب النور للشيخ الإمامغ.